

أشهر رواد الفكر التربوي في الشرق والغرب

Oriental and occidental famous pioneers of educational thought

عبد الهادي أحمد عبد الكريم، جامعة أنجمينا - تشاد

ملخص

مرت البشرية عبر العصور المختلفة بعدة مراحل وفي كل عصر يظهر مفكرون وفلاسفة ورواد لهم نشاطاتهم البارزة، أفكارهم الراقية، نظراتهم المتميزة، وآثارهم الظاهرة في تطوير التربية وذلك عن طريق آرائهم التربوية ونظرياتهم الفلسفية التي تُغذي التعليم ومؤسساته. وبناء على هذه الحقائق جاء هذا البحث ليسط الضوء على أشهر الرواد في مجال التربية سواء في الشرق أم في الغرب. لقد كانت البداية بإعطاء لمحة تاريخية عن مسيرة الفكر التربوي والحقب الزمنية التي مر بها والعوامل التي ساعدت في ظهور المدارس التربوية والايديولوجيات الفكرية، كما تم التطرق الى كل عَلم من خلال نشأته وتعليمه وآرائه ونظرته للتربية واشتمل التناول ستة أعلام لهم الأثر الكبير والتأثير البالغ في مسيرة التربية قديما وحديثا، وهم في الشرق ابن سينا و الغزالي وابن خلدون . أما في الغرب فقد تم التركيز على الأقطاب جان جاك روسو وهاربات وجون ديوي، ثم جاءت النتائج لتختتم هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الفكر التربوي ، رواد الفكر، في الشرق والغرب.

Abstract :

The most famous pioneers of education in the East and West Humanity has passed through various ages in several stages and in every age, thinkers, philosophers, and pioneers have shown their outstanding activities. Their high-end ideas are distinguished and their effects are apparent in the development of education and their distinguished outlooks. And their apparent effects in the development of education through their educational theory and philosophical theories that feed education and its institutions. Based on these facts came this research to highlight the most famous pioneers in the field of education, whether in the East or the West. It was the beginning to give a historical overview of the educational process and the time periods and the factors that helped the emergence of schools and intellectual ideologies Each science was also addressed through its

inception, education, views and outlook on education, both ancient and modern. They are in the east Ibn Sina and Ghazali and Ibn Khaldun either in the West has been focused on the poles Jack Russo and Harbat and John Dewey and then came the results to conclude this research.

Key words: educational thought, pioneers of thought, oriental , occidental.

مقدمة:

ساهم الفكر الإنساني قديما وحديثا في تطوير المجتمعات، وذلك عبر التربية التي تعتبر الأداة الفاعلة في هذا الإطار، وقد مرت البشرية خلال رحلتها الطويلة بعدة عصور وحقب زمنية، وفي كل عصر يوجد رواد للفكر التربوي كان لهم أثرهم الواضح، ونشاطهم البارز في توجيه العملية التعليمية. ويلاحظ هذا التواجد في الشرق يعني في الدول العربية وهؤلاء الفلاسفة والمفكرين يبنون أفكارهم وآرائهم التربوية على تعاليم الدين الإسلامي وشرعه الحنيف، ومصادره الأساسية.

فالتربية عندهم هي تلك التي تأتي موافقة للكتاب والسنة، معتمدة على أخلاق الرسول صلي الله عليه وسلم وسيرته العطرة، وهكذا يضعون الأسس التي من خلالها تتم تربية الطفل المسلم، والخطوط العريضة. ومن أشهر هؤلاء المفكر الكبير والفيلسوف الجدير والتربوي الخبير ابن سينا، ثم الإمام الغزالي بنظرته الخاصة لتربية الطفل وبعدهما ابن خلدون المشهور بمقدمته التي لم يترك فيها شاردة ولا واردة تخص التربية السليمة والأخلاق الفاضلة إلا وقد تحدث عنها.

و في المقابل هناك علماء برزوا على السطح في الغرب وكان لهم تأثيرهم القوي في مجريات التربية في أوروبا خاصة بعد عصر النهضة أي العصور الحديثة، حيث جاءوا بأفكار جديدة، وآراء سديدة، ساعدت كثيرا في خدمة المجتمع ، وفي الطليعة نجد الفيلسوف والتربوي وعالم الاجتماع جان جاك روسو مؤسس المدرسة الطبيعية والذي نادى بالتربية الطبيعية، والمعلم الطبيعي، والمجتمع الطبيعي، من أجل إنسان طبيعي . وركز في أفكاره على تربية الطفل بصورة طبيعية دون تدخل خارجي يفسد جوه العادي . ثم هاربارت الذي كان له الأثر الأكبر في رفع شأن التربية في القرن التاسع عشر الميلادي، واستطاع أن يخترع خطوات جديدة في التدريس عرفت فيما بعد بالطريقة الهاربارتية.

أما جون ديوي زعيم الحركة الفكرية والتربوية والتقدمية في القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية فقد زود التربية في عصره بأفكار حديثة تناسب العصر وتتماشى معه، وأدخل إصلاحات على النظام التربوي القديم وحارب التربية التقليدية، وانتقد السير الكلاسيكي، كما أعطى للتربية وزناً، وللتعليم بعداً، وللمعلم قدراً، وللمتعلم مكانة. وقد تم التعرض لكل واحد من هؤلاء الأعلام بشيء من التفصيل.

لمحة تاريخية عن الفكر التربوي

عاشت البشرية عبر قرونها المختلفة عدة أحداث، وأفرزت مجموعة من الحضارات والثقافات، ولعل الحكم على هذه القيم والأفكار يتحدد بمعايير نسبيين: أحدهما هو اتساع وعمق المحتوى الكثيف لهذه الثقافات الذي استمر مئات السنين فاعلا ومؤثراً، ويضم هذا المحتوى الفنون والفلسفات والعقائد والعلوم والأخلاق والعادات والقيم وغيرها من مكونات الحياة. والثاني هو مدى عمق الإسهام الذي تقدمه مكونات الثقافة في حياة الفرد¹

ومنذ أقدم العصور هناك عوامل أساسية أو قوى فاعلة مؤثرة في أفكار الإنسان الخاصة ومؤسساته التربوية، وتختلف درجة تأثير كل عامل حسب الزمان والمكان، إلا أن العامل الثقافي كان أكثرها فعالية في تحديد الفكر البشري من حيث القوة في جميع الحقب الزمنية المتعاقبة. إن القوى الدينية التي خضع لها الإنسان الأول منذ آلاف السنين كان لها التأثير الفعال على حياته الفكرية. ويرى البعض أنه بالرغم من تأثيرنا ببيئتنا الحاضرة إلا أن الماضي له آثاره، ولم يمت الماضي بل هو حي، يقول جيمس هارفي روبنسون في أحد مؤلفاته " إن العقل الحديث حديث جزئياً وان جوانب كثيرة منه ساكنة فيه منذ أيام ماضينا البدائي السحيق ". ومعنى هذا أن أفكار الإنسان اليوم التي نراها ونشاهدها ما هي إلا نتاج بيئته الحاضرة وماضيه القريب والبعيد.²

ويستطيع دارس الفكر التربوي وضع أصابعه على الجهود الجبارة التي بذلها المفكرون والفلاسفة في ميدان التربية عبر تاريخ البشرية الطويل، كما يكتشف العلاقة بين الجانب النظري والجانب العملي في العملية التربوية، سوف تبين له مفاهيم جديدة ومفيدة تساعده على رؤية الأسس التي قامت عليها التربية والنظريات والمدارس التربوية الناتجة عن الفكر الإنساني القديم. وعندما يقرأ الإنسان حياة المفكرين والمربين الكبار من الشرق والغرب كسقراط وأفلاطون وأرسطو وروسو وجون ديوي والغزالي وابن سنا ورفاعة الطهطاوي وغيرهم تتفتح له آفاق واسعة.

إن الفكر التربوي هو قديم قدم المجتمع الإنساني ذاته حتى ظهرت ايدولوجيات فكرية وفلسفات تربوية واضحة المعالم كان روادها الفلاسفة والمفكرون الأوائل الذين ساهموا في فهم التربية وتفسيرها وتوجيهها وضبطها في الماضي مما ساعد على فهمها في الحاضر.³

التربية كأحد المناشط الاجتماعية لها تاريخها الذي يعبر عن تطور أفكارها وممارستها عبر العصور، والنظام التعليمي بما يتضمنه من تنظيمات وعمليات وما يواجهه من مشكلات وقضايا تتأثر بطبيعة المرحلة التي يعيشها، كما تتأثر به هذه المرحلة التاريخية من عوامل ومتغيرات، ولذا فالدراسة التاريخية للمجتمع ونظامه التربوي تعتمد على فهم تطور هذا النظام ومواجهة مشكلاته بطريقة تتضح فيها العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية التي تشكل المجتمع، وأثر هذه العوامل على سير النظام التربوي ومضمونه وتوجهاته وما يتعرض له من مشكلات، ومعرفة التفاعل بين التربية والتاريخ من خلال المعطيات المعرفية والمنهجية التي استمدتها التربية من التاريخ.⁴

للتاريخ تأثير واضح في العملية التربوية نتيجة للتفاعل المستمر بين عناصر الثقافات المختلفة عبر العصور التاريخية لأي مجتمع من المجتمعات البشرية، ولا شك أن للحوادث والمتغيرات أثر في تقدم أو تخلف المجتمعات، ومن خلال دراسة الأصل التاريخي للتربية نستطيع التعرف على العوامل والظروف والتحديات التي واجهت المجتمع والتربية خلال حقب تاريخية متتالية، ومثل هذا التعرف له فوائده الكبرى لأن بصمات الماضي تؤثر في مجريات الحاضر، وإذا كان من بين أهداف التربية تحقيق التكامل الاجتماعي وتنمية الروح القومية فان ذلك لا يمكن أن يتحقق من غير فهم عميق للتاريخ وتحليل له.⁵

أولاً: رواد التربية البارزين في الشرق:

1. ابن سينا:

نشأته البيئية:

تذكر الروايات أنه ولد بafشنه بالقرب من بخاري عام 985م حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة ثم أراد أبوه أن يدعوه إلى مذهب الإسماعيلية، وكان يأخذه لسماع المناقشات المذهبية، فنشأ سامعا للفلسفة والهندسة وحساب الهند، فتولد في نفسه ميل إلى هذه العلوم، تتلمذ على أساتذة في الفلسفة والفقه والمنطق، ثم أخذ يقرأ الكتب بنفسه ويطالع الشروح حتى أحكم على المنطق، ثم التفت إلى دراسة الأشكال الهندسية وتفتحت أبواب العلم عليه حتى درس علم الطب، وكان يواصل الليل والنهار في القراءة. ويقول عن نفسه أنه قرأ كتاب " ما بعد الطبيعة " ولم يفهم ما فيه حتى أعاد قراءته أربعين مرة.⁶

آراؤه التربوية:

التربية الحقيقة عنده هي التي تشتمل على النفس والبدن معا وتتمت بهما، وعليها أن تركز على العلم الذي يعتمد على العقل أي النشاط العقلي، والتعليم الناجح هو ما كان مبنيا على القراءة

أما المعلم ويسميه المؤدب ينبغي عليه أن يتحلى بمجموعة من الصفات مثل الحزم والحكمة والتحمل ودماثة الخلق ووعي الضمير، وعلو الهمة، وسمو الأخلاق، والأدب الجم وبقول مقدا له وصية" ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا، ذا دين بصيرا برياض الأخلاق، حاذقا بتخريج الصبيان، وقورا رزينا، غير كز ولا جامد، حلوا لبيبا ذا مروءة ونظافة ونزاهة."

مؤلفاته العلمية:

ألف ابن سينا العديد من الكتب والرسائل في شتى العلوم والفنون ويقول الأب بولس مسعد" لو شئنا تعداد مصنفات الشيخ الرئيس في فروع الأدب والعلم والحكمة والطب والدين ملل القارئ" . وكان يلقبه بأرسطو الإسلام.⁷

فقد تربو مؤلفاته عن المائة كما أحصاها رواة سيرته ومن أهم كتبه:

. الشفاء : ويعتبر من أعظم مؤلفاته قدرا، وأعلاها شانا، وأغزرها مادة، وأكثرها فائدة.⁸

. القانون : وقد ألفه في الطب ويعتبر موسوعة جمعت خلاصة ما وصل إليه الطب عند العرب والإغريق والهنود والسريريان وغيرهم من الأمم.⁹

. النجاة : ووضعه للذي يريد أن يتميز عن العامة، وينحاز إلى الخاصة¹⁰

. الإرشادات والتنبيهات : وقد ألفه في أواخر أيامه، وكان يعده من أحسن كتبه وقد كتب في آخره عبارة جميلة ومعبرة جسد فيها اتجاهه وخلاصة فكره، وتجاربه في الحياة وهي عبارة عن خطوط عريضة رسمها لمن أراد النجاح من بعده حيث يقول " أيها الأخ إني قد تمخضت لك في هذه الإرشادات عن زبدة الحق، وألقتك ففى الحكم في لطائف الكلم، فصنعه عن الجاهلين والمبتدلين، ولا تنشره إلا بين الذين تتق بنقاء سيرتهم، واستقامة سيرتهم ".¹¹

2. أبو حامد الغزالي :

نشأته البيئية:

وُلد أبو حامد الغزالي بمدينة طوس قرب خراسان ببلاد فارس سنة 1058م من عائلة فقيرة تعمل في غزل الصوف، ولعل من هذه المهنة جاء لقب الغزالي. يُذكر أنه لما حضرت والده الوفاة وصي به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف. فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما. قرأ الغزالي في صباه طرفاً من الفقه في بلده، ثم قدم إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين (ضياء الدين الجويني) ودرس عنده الفقه والأصول والجدل والمنطق والكلام ودرس في المدرسة النظامية ببغداد لمدة أربع سنوات، وقرأ الحكمة والفلسفة وتصدى للرد على الملحدين وإبطال دعاويهم.¹²

ويعتبر الغزالي من أكبر مفكري الإسلام المدافعين عنه، بل كان أكثرهم قدرة على الابتكار، وكان فقيهاً متكلماً صوفياً وقد سني بحجة الإسلام لأنه رد على الكثيرين من المخالفين، وقد عرف عنه شدة الذكاء والإفراط في الإدراك والغوص في المعاني الدقيقة. فقد أعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله، وفصاحة لسانه، ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة.¹³

آراؤه التربوية:

يرى أن الهدف من التعليم الصحيح هو التقرب من الله، وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة. ويؤكد أن السعادة لا يمكن الوصول إليها إلا بالعلم والعمل، ولهذا عنده العلم أشرف وأفضل الصناعات والأعمال، ويستدل على آرائه وأفكاره التربوية بأدلة كثيرة عقلية ونقلية.¹⁴

والتربية عنده هي التي توجه غرائز الطفل إلى الأفضل وتخضعها لسلطان العقل ولا تقهرها أو تقمعها، وقد تأثر في آرائه التربوية فنظرته إلى الطفل بالفكر اليوناني وبالفكر الإسلامي، وكانت آراؤه منسجمة مع الحديث النبوي الشريف " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" ويقول من الضروري التبكير في تعويد الطفل الخصال الحميدة، وركز على دور الأب في تربية الطفل وتنشئته وصيانتته من الآثام وإكسابه محاسن الأخلاق وإبعاده عن قرناء السوء ولا بد من مراقبته.¹⁵

ولا بد من تعليمه القرآن الكريم وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار، واهتم بموضوع اللعب والنشاط ويرى أن اللعب وسيلة للأطفال في التعبير عن فطرتهم.¹⁶

ويضيف الغزالي عددا من النصائح في تربية الطفل تتعلق بخصائص نموه وتنشئته الاجتماعية تمتد إلى الكثير من دقائق حياته، ويشدد على ألا يستعمل في حضائته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة، ويلبس من الثياب البيض دون الملون، أن يعلم آداب الأكل، وكيفية الجلوس على المائدة، وأن يقتصر في التعليم على قدر فهمه فلا يُعطي مالا يبلغه عقله.¹⁷

ويبين المنهج الذي اقترحه الغزالي بحسب أهمية العلوم إلى علوم دينية وهي القرآن الكريم والحديث والفقه والتفسير والسيرة، وعلوم لغوية وهي النحو ومخارج الحروف والألفاظ وتخدم علوم الدين، علوم الكفاية مثل الطب والحساب والسياسة والصناعات المختلفة، وعلوم علوم ثقافية كالتاريخ والشعر.¹⁸

ويبين الغزالي آراءه التربوية على نظره التي تميل إلى النفس الإنسانية، وعلى فهمه لطبيعة الطفل وغرائزه. والوصول إلى المعرفة يتم بطريقتين التعليم الإنساني ويحصل عبر العقل والحواس والخبرة الإنسانية و التعليم الرباني ويأتي عن طريق الوحي والإلهي.

مؤلفاته العلمية :

ترك الإمام الغزالي ما يزيد على سبعين مؤلفا في مجالات الدين والجدل والمناظرة والفلسفة ومن كتبه: مقاصد الفلاسفة، و تحافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال، ورسالة أيها الولد، وميزان العمل و فاتحة العلوم، و الرسالة ألدنية، ومن أشهر مؤلفاته على الإطلاق كتابه المشهور إحياء علوم الدين.¹⁹

3 ابن خلدون:

نشأته البيئية :

تؤكد الوثائق التاريخية أن ولادته كانت بتونس في سنة 1332م وهو من أسرة عربية عريقة عمل أغلب أفرادها بالعلم والسياسة ، حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والحديث والفلسفة والمنطق ، ونبغ في كل ما درسه ، تتلمذ على أيدي أساتذة مشهورين منهم : الأستاذ أبي عبد الله الأنصاري والشيخ الايلي وأخذ عنهم الكثير من العلوم. ارتحل إلى فاس بالمغرب الأقصى، وبقي فيها سنتين تنقل خلالها بين مناطق عدة، وتعرف على شيوخها وحكامها وعرف البدو وطبائهم، ثم واصل إلى الأندلس وأقام بضيافة السلطان عبد الله محمد الذي أرسله فيما بعد سفيرا عنه إلى ملك قشتالة.²⁰

وما زال البيت الذي ولد فيه ابن خلدون قائما في شارع تربة الباي حيث تشغله مدرسة الادارة العليا بالعاصمة التونسية، بمعنى أنه تحول إلى منارة للعلم، وشعاعا للنور، ومنبعا للثقافة في المغرب.²¹

يقول ابن خلدون في مقدمته " ولم أزل منذ أن نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل، متنقلا بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة، وهلك أبواي رحمهما الله ولزمت مجلس شيعي أبي عبد الرحمن الأيلي، وعكفت على القراءة عليه ثلاث سنين."²²

آراؤه التربوية: الهدف من التربية عنده هو تحقيق الهدف العلمي الاقتصادي بالتعاون مع الآخرين في الدنيا، وبفهم ما جاء به القرآن الكريم والعمل به لتحقيق الهدف الديني وهو عمل الآخرة. ويرى أن العلم والتعليم من طبائع العمران، والإنسان يتميز عن الحيوانات بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه.²³

اهتم ابن خلدون بطرق التدريس، وركز على أهمية إتباع المعلم لمختلف الأساليب التي تسهل استيعاب المادة الدراسية ووضع مجموعة من المبادئ التي منها التدرج من السهل إلى الصعب مع مراعاة استعداد المتعلم ويقول في هذا الصدد " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان التدرج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا. " ونادى باستخدام التكرار ثلاث مرات في تعليم الأطفال .²⁴

انتقد استخدام العقاب الجسدي، وفضل استخدام اللبونة والشفقة مع الأطفال لاعتقاده أن استخدام العنف مع المتعلمين يؤدي إلى ضيق النفس ويذهب نشاطها.²⁵

لقد أتاحت لابن خلدون فترة طيبة للتفرغ في إحدى قلاع المغرب الأوسط والجزائر، وهي قلعة سلامة الواقعة جنوبي إقليم قسنطينة، وقد دامت هذه الفترة أربع سنوات، عكف الرجل خلالها على كتابة تلك المقدمة الخصبية التي تعد بحق فتحاً في مجال الفكر الإسلامي، ولقد كتبها بعد أن تعلم الكثير من اثنتين وهب لهما شبابه: الأحداث التي شارك فيها، والدراسات الشاملة التي ما نفك يواصل صعود مسالكها وشعبها.

مؤلفاته العلمية :

أمضى ابن خلدون معظم حياته وجل وقته في كتابة مؤلفه كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم وما عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر وشمل هذا المؤلف ثلاثة كتب في سبعة مجلدات وهذه الكتب هي:²⁶

- 1 . المقدمة: وقد أعطاه شهرة واسعة في مختلف أنحاء العالم ، وتكلم فيه عن طبيعة العمران وتعرض أيضا للبدو والحضر والصنائع والمعاش والعلوم ونحوها، وتحدث فيه عن تاريخ التربية والتعليم عمده المسلمين في المشرق والمغرب.
- 2 . في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم ومن عاصروهم من أمم الأنباط والفرس والسريان واليونان وغيرهم.
- 3 . في أخبار البربر، وما كان لهم بديار المغرب من الدول.

ثانيا : رواد الفكر التربوي البارزين في الغرب

1. جان جاك روسو:

نشأته البيئية :

تشير المؤلفات أنه ولد في مدينة جنيف من أب فرنسي وأم سويسرية عام 1712م وماتت والدته عقب ولادته بأيام، ورباه والده حتى سن العاشرة، ثم تولى أقارب أمه تربيته. وعرف عن والدته سوزان شغفها بالموسيقى والأدب والعاطفة، بينما كان والده مرحا وعاطفيا فورث عن أبيه الخيال الشارد، وخفة الروح، وورث عن أمه قوة العاطفة والروح الغنية وحب الجمال.²⁷

تعلم روسو الكتابة وفن النقش، وكان كثير القراءة والاطلاع في الكتب الفلسفية والتربوية والتاريخية وهذا ما ساعده على بناء شخصيته الثقافية، وأصبح فيما بعد ضالعا في التربية وعلم الاجتماع، وقد أتيح له بعد انتقاله إلى باريس أن يقف عن كثب على الحياة السياسية ويتصل بزعماء حركة التنوير من أمثال فولتير وديدرو ويعقد معهم صداقات وعلاقات شخصية.²⁸

قابل روسو في حياته صعابا كثيرة، فقد عاش فقيرا وتقلب في مناصب صغيرة إلى أن أصبح مربيا كبيرا. ومن خلال حياته كان قارئاً مكثراً، فقرأ الشعر، والتاريخ والفلسفة والرياضيات والفلك، وبذلك تكونت عبقريته من كثرة قراءته واطلاعه.

آراؤه التربوية :

نادى بمبادئ تربوية عامة معظمها يميل إلى التربية الطبيعية للطفل، وكان يؤمن ببراءته وبطبيعته الخيرة، ويعتقد أن كل ما يطرأ على سلوك الطفل من سوء وفساد إنما يحصل من البيئة وجهود البشر وليس من فطرته الطبيعية.²⁹

كما أنه يؤمن بقدسية الطبيعة وأن التعليم يتم عن طريق ثلاثة أمور هي (الطبيعة، الإنسان ، الأشياء) واعتبر الطبيعة هي أفضل المعلمين لتنمية شخصية الطفل وتعيوده على الاستقلال الذاتي، والتربية يجب أن تكون وفقا لقوانين

الطبيعة، معتمدة على الخبرة المباشرة والاحتكاك بالأشياء، والهدف منها هو تنمية الكاملة للطفل ليكون رجلا قادرا في المستقبل على مواجهة الحياة العامة قبل الاهتمام بإعداده لمهنة معينة.³⁰

والدارس لآراء روسو يدرك مدى تأثيره بآراء مونتين ولوك ولكنه كان أكثر قدرة وشجاعة في توضيح رأيه، فلم يبالي بما ساد عصره من عادات وأفكار لم تعجبه، فقد تأثر بآراء مونتين في تربية الحواس مؤكداً أن العقل السليم في الجسم السليم، كما تأثر بآراء لوك في العناية بتربية الجسم والخلق وعدم تدليل الأطفال بالمغالاة في كنائسهم.³¹

وكان روسو جريئاً في كتابته في وقت كانت الجرأة نادرة، في وقت ساد فيه القول بأنه إذا كان الحكام ذئاباً وجب أن يكون المسيحيون غنماً، في هذا الزمن العصيب نادى روسو بالحرية والمساواة، وقد عارض آراء فولتير الذي وصف جموع الشعب بأنهم أغبياء متوحشون، وأنهم ثيران لا يحتاجون إلا إلى منحس ينخسون به، ونير يوضع على رقابهم، وعشب يأكلونه.³²

يعتبر روسو واضعاً لأصول المذهب الطبيعي في التربية، ويقول " نحن نولد ضعفاء في حاجة إلى قوة، ونولد مجردين من كل شيء في حاجة إلى عون، ونولد أغبياء في حاجة إلى قدرة على التمييز... فكلما حرمانه عند الميلاد، ونحتاجه عندما نكبر تمنحنا إياه التربية." ³³

مؤلفاته العلمية :

كتب جان جاك روسو في أكثر من مجال ومن أهم مؤلفاته ما يلي :³⁴

1 . إميل : ويعتبر من أشهر مؤلفاته وكان يسمي أحيانا في التربية، ويذكر أن الدافع وراء كتابته هو محاولة للإجابة عن سؤال سيدة تطلب منه أن يرشدها إلى طريقة مثلى تربي بها أطفالها.

2 . العقد الاجتماعي : وتحدث فيه عن حقوق الفقراء وعن الحرية، وطالب فيه بالعودة إلى الطبيعة وبالعدالة الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي، وقد حوله هذا المؤلف إلى أسطورة وإلى رمز مثير للحماس السياسي لإعادة البناء السياسي.

3. رسالة في الفنون والعلوم : وقدمها إلى مسابقة أكاديمية ديجون للإجابة عن السؤال: هل حققت الآداب والعلوم نفعاً للبشرية؟ وكانت إجابة روسو بالسلب وفاز بحثه بالجائزة.
4. رسالة في الاقتصاد السياسي: وطالب فيه بضرورة تعبير القانون عن إدارة الشعب وأن تعلم الحكومة أبناء المجتمع بطريقة ديمقراطية وأن تجمع الضرائب من الأغنياء فقط.
5. الاعترافات : ويعد بمثابة تلخيص أمين وصريح وواضح لما كتبه من خطابات في حياته وتم نشرها بعد وفاته.

2. هاربارت وليام سبنسر :

نشأته البيئية :

ولد هاربارت ببلدة دربي الانجليزية عام 1820م من أسرة متحررة في الرأي وغير ملتزمة بالعادات والتقاليد إلا ما يتلق منها بالمسائل الدينية، وكان هذا الجو التحرري الاجتماعي له تأثيره على حياة هاربارت وأفكاره التي كان يغلب عليها طابع التحرر والصلابة والثقة بالنفس، واهتم منذ بداية حياته بجمع الحقائق العلمية وتنظيمها وبدراسة العلوم الطبيعية والتاريخ والهندسة، حتى نال الشهادة الجامعية في مجال الهندسة المدنية والمعمارية، وكان يشارك في المناقشات العلمية والسياسية الدينية.³⁵

آراؤه التربوية :

يعد هاربارت عالماً تربوياً وصاحب النزعة التجريبية العلمية، ويرى أن التربية تقوم على مسألتين أساسيتين: أولهما موضوعات الدراسة التي من شأنها أن تُكون الإنسان المثقف ثقافة صحيحة، والثانية هي الطرائق التي ينبغي أن تصطنع للوصول إلى تعليم الطفل بسرعة وإتقان ، فالأخلاق ضرورية للإجابة عن المسألة الأولى، وعلم النفس هو الذي يجيب عن المسألة الثانية.³⁶

والمثل الأعلى في التربية عنده هو أن نزود الإنسان بإعداد كامل للحياة بكاملها، حيث لا ينمي جانب واحد من المعرفة، على حساب سائر الجوانب الأخرى مهما كان ذلك الجانب هاماً.³⁷

ويركز هاربارت على المواد التي تحقق الحياة الكاملة، ويذكر أن تلك المواد يجب أن يتم اختيارها بدقة.³⁸

اهتم بالمناهج التربوية ومحتوياتها بما يفيد الفرد على مستوى المؤسسات التربوية الرسمية، وانتقد الآداب واللغات القديمة واعتبرها عديمة الجدوى للمتعلم في حياته العملية.³⁹

كما أكد على طريقة التدريس التي تشجع التنمية الذاتية للمتعلم، وإتباع أسلوب الانتقال من البسيط إلى المعقد، ومن المشخص الواقعي إلى المجرد النظري، ومن غير المحدود الغامض إلى المحدود الواضح.⁴⁰

تتمحور أفكار هاربارت التربوية حول ربط التربية بالحياة وإعداد الفرد للحياة الكاملة، وحدد المواد الدراسية التي يمكن لها أن تساعد في تحقيق ذلك، وقد أثرت أفكاره على الكثير من المربين الذين أتوا بعده ، ومهدت الطريق أمام أفكار تربوية أخرى ظهرت في القرن العشرين، ولا تزال أفكاره تحظى بالاهتمام والدراسة، وهي ذات قيمة تربوية وبنفعية وتقديمية.⁴¹

كما تأثرت المدارس الابتدائية الأمريكية بأرائه التربوية، فقد هاجر إلى أمريكا واحدا ممن درسوا عليه وشرح للأمريكان آراء هاربارت التقدمية في التربية ومدى فائدتها للمتعلمين وخاصة الأطفال، وبذلك تغلغت في أوساط المجتمع الأمريكي ومؤسساته. وبهذا يعتبر خير الفلاسفة التربويين الانجليز في القرن التاسع عشر والذي عبرت آراؤه وأفكاره المحيط الأطلسي.⁴²

ونادى بأن تتم العملية التربوية في جو نفسي واجتماعي سليم خال من الضغط والقسوة والظلم ومليء بالاحترام والتقدير والمساواة والتشجيع على التعليم،⁴³

وضع خمس خطوات للتدريس سُميت بطريقة هاربارت وهذه الخطوات هي:⁴⁴

1. التمهيد : وهي خطوة أولية يتم فيها تهيئة التلميذ ذهنيا وتتضمن مراجعة أفكاره ومعارفه وخبراته القديمة وربطها بالجديدة.

2. العرض : وفيها يقدم المعلم بتقديم المعلومات وتوضيحها بشتى الوسائل مع الاستعانة بالأشياء المحسوسة.

3. الربط والموازنة : وتتضمن الربط بين المعلومات الجديدة والقديمة وإدراك مواطن الاتفاق والاختلاف عن طريق المقارنة والمقابلة.

4. الاستنباط : وفيها تتم استنتاج الأفكار الأساسية واستخراج القاعدة أو القانون العام.

5. التطبيق : وتهدف الى صقل المعارف والتدريب على القواعد للتأكد من الفهم.⁴⁵

وقد أسس هاربارت آراءه التربوية على الأخلاق ، فلأخلاق تحدد الهدف ، وعلم النفس يشير إلى الوسائل.⁴⁶

و غاية التربية الأخلاق والفضيلة، والطريق إلى الفضيلة هي المعرفة الكاملة.⁴⁷

يعتبر هاربارت زعيما للحركة العلمية التي أصبحت حركة مستقلة لها كيانها وتعد عاملا من العوامل التي مهدت لظهور

الحركة الاجتماعية في التربية والتي بدأت تتضح معالمها في أواخر القرن التاسع عشر.⁴⁸

يتفق هاربارت مع ابن خلدون في مسألة تنشيط العقل الإنساني حيث يطرح الأخير مراتب أو أنماط ثلاثة للنشاط

الفكري أو العقلي.⁴⁹

3. جون ديوي

نشأته البيئية :

ولد في مدينة برلنجتون بالولايات المتحدة الأمريكية من أسرة ميسورة الحال، وكان والده بسيط التعليم، وكانت أمه لوثينا أعرق نسبا وأكثر علما من والده، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينة برلنجتون، والجامعي في ولاية فرمونت، درس اللغة اللاتينية واللغة اليونانية والفلسفة الإغريقية والتأريخ القديم والهندسة التحليلية ، وكان يستثمر وقت فراغه في بيع الجرائد . وبعد حصوله على شهادة البكالوريوس الجامعية عمل بالتدريس لفترة من الزمن في ولاية بنسلفانيا، ثم التحق بجامعة جون هوبكنز بولاية ماريلاند لواصله دراساته العليا في مجال الفلسفة والعلوم السياسية والتاريخية ، نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام 1884م.⁵⁰

اشتغل ديوي محاضرا في الفلسفة في كل من جامعتي متشجنان ومينوستا لمدة عشر سنوات، ثم تولى رئاسة قسم الفلسفة في جامعة شيكاغو واستمر فيها لمدة عشر سنوات وأنش عام 1896م مدرسة نموذجية تضم معامل الطبيعة والكيمياء والتربية وعلم النفس، واتخذ هذه المدرسة الابتدائية مكانا يجرب فيه أفكاره التربوية . انتقل بعد ذلك إلى جامعة كولومبيا في نيويورك ليعمل أستاذا للفلسفة وبقي فيها حتى تقاعده في عام 1930م.

لقد اهتم ديوي في تعليمه بدراسة الفلسفة وعلم النفس، ودرس جمهورية أفلاطون وفلسفة كونت وهيغل، ولكن اهتمامه بالفلسفة كان واضحاً، زار بلدانا كثيرة في الشرق والغرب والقي فيها محاضرات.⁵¹

انتشرت آراء ديوي بين الأمريكيين وعبرت المحيطات إلى دول كثيرة وكان لها تأثير مباشر على طريقة المشروع ودالتن، فقد أدخل عليها الكثير من الإصلاحات . فنجد مثلا إنها أصبحت تقوم على رأيه القائل "العمل الكامل ينتج عن حاجة الفرد، وحل المشكلة ينبع من هذه الحاجة".⁵²

بعد أن ذاع صيته ونال شهرة واسعة في مجال التربية والفلسفة، دعتة عدة دول منها: اليابان وروسيا والصين وتركيا وإنجلترا وإيطاليا ليحاضر في جامعاتها ويقدم لها أفكاره التربوية ليساعدها في تنظيم وتجويد تعليمها.⁵³

آراؤه التربوية :

يرى ديوي أن التربية الحقيقية هي التي تأتي من خلال تحفيز قوي الطفل حسب ميوله، ووفق الوظائف الاجتماعية التي يجد نفسه فيها، وكانت نظريته التربوية واضحة في فلسفة التربية وموضوعها وطرقها . وبذلك أسهمت أعماله في إعادة النظر في التربية في النصف الأول من القرن العشرين.⁵⁴

ويوافق ديوي هنا الغزالي في تربية الطفل حين يؤكد ضرورة فهم المعلم لطبيعة الصبي وهذا يتأتى من دراسته لنفسية الصبيان الذين يعلمهم فهم ليسوا سواء وهذه الدراسة تساعده من ناحية أخرى على إيجاد الصلة الإنسانية بينه وبينهم.⁵⁵

تأثر ديوي في فكره التربوي بالبرجماتية ، لا أنه عارض جيمس الذي كان من أنصار مذهب التعدد والكترة في حين كان ديوي من أشد المتحمسين للواحدية، فلم يؤمن قط بثنائية العقل والجسم مثلا، ولا ثنائية المادة والروح، وكان تأثره بالبرجماتية ظاهرا في دعواته للأدائية أو كما عبر عنها بعض تلاميذه باصطلاحات عديدة مثل الوظيفية والعملية والنفعية وغيرها من المسميات، وكلها تلقي الأضواء على وصف الحياة بالديناميكية والتغير.⁵⁶

كل تربية عند ديوي تقوم على مشاركة الفرد في الوعي الاجتماعي للجنس البشري، وتبدأ هذه المشاركة تقريبا منذ الولادة بطريقة لاشعورية، ثم تظل تشكل قوى الفرد بصورة مستمرة.⁵⁷

ويرى أن للتربية جانبان: أولهما نفسي، والآخر اجتماعي. فهي نفسية لاعتماد مبادئها على فهم الطفل واستعداداته، وهي اجتماعية لأنها تسعى إلى إعداد الطفل ليغدو عضوا فاعلا في المجتمع الذي يعيش فيه، حيث تمثل البيئة الاجتماعية المجال الحيوي الذي يمارس فيه الطفل نشاطه، ويتعلم فيه اللغة والآداب والسلوك والقيم الأخلاقية، والذوق السليم ومعايير الجمال. كما يقول " إن التربية لكي تحقق أهدافها لكل من الفرد المتعلم والمجتمع ينبغي أن تعتمد على الخبرة التي تكون دائما خبرة الحياة الفعلية للفرد.⁵⁸

أما رأيه في المنهج فهو ينادي بإتاحة الفرصة أمام التلاميذ للتعلم عن طريق العمل المباشر وعن طريق الخبرة المباشرة.⁵⁹ وعن طريقة التدريس يوصي باتباع طريقة حل المشكلات في العملية التعليمية التي أطلق عليها اسم " طريقة التفكير المنتج".⁶⁰

مؤلفاته العلمية :

خلف ديوي العديد من المؤلفات والكتب في المجالات الفلسفية والتربوية والاجتماعية والسياسية والنفسية، ومن أهم مؤلفاته : كتاب الديمقراطية والتربية الذي ركز فيه على كيفية إعداد جيل أفضل ، وكتاب علم النفس ، والمدرسة والمجتمع، وعقيدتي التربية، والطفل والمنهج، والأخلاق، وكيف تفكرن وتجديد في الفلسفة، والخبرة والتربية، ومدارس الغد، والطبيعة البشرية والسلوك، والفن كخبرة، والتربية في العصر الحاضر، وغيرها.⁶¹

الخاتمة:

شهدت التربية تطورا ملحوظا في فترات متلاحقة، وقرون متتالية، وهذا التطور يعتبر نتاجا للفكر الإنساني المتجدد، فكلما تتطور الفكر لدي الإنسان صحبه تطور في جميع مجالات الحياة ومنها التربية التي هي الأساس في تقدم البشرية وريقها في جميع الأصعدة. ولا شك أن لكل عصر رواده في التربية سواء كان في الشرق العربي المسلم أم في الغرب الأوروبي المسيحي في الغالب.

وعلى هذا الأساس فان المفكرين والفلاسفة عبر الحقب الزمنية المختلفة كانوا نواة للتقدم الثقافي والاجتماعي وحتى الاقتصادي لبلداتهم، وهم القادة الذين يأتمر المجتمع بأوامرهم وينتهي بنواهيهم . لأنهم يوجهون الناس، ويصلحون العمل، ويعدلون السلوك، ولذا كان لهم تأثيرهم الفعلي في نفوس العوام والأطفال، وكل فيلسوف مشهور كانت له تنشئته البيئية التي ساعدت في تكوينه الفكري، ونشاطه التربوي. وما من مدرسة تربوية أو مذهب فكري إلا وينتمي إلى اتجاه معين وإيديولوجية خاصة غربية كانت أم شرقية، رأسمالية كانت أم اشتراكية ، إسلامية كانت أم علمانية. وقد ظهرت هذه البصمات في آراءهم ومؤلفاتهم ومواقفهم. وقد استفادت المجتمعات الشرقية والغربية من الأفكار التي خلفها هؤلاء العلماء الجهابذة والمفكرين القلائل حيث أصبح المعلمون الآن يستشهدون بهذه الأفكار ويعتمدون عليها اعتمادا كبيرا لأنها صارت لهم كالمراجع والمستند والضابط التربوي.

النتائج:

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:.

1. ان فلاسفة الإسلام ومفكره كان لهم الدور الرائد في توجيه البشرية منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا عبر الفكر السليم،العقل الحكيم والنهج القويم.
2. التربية الاسلامية هي التربية النافعة للبشرية جمعاء ولها السبل الناجعة في حل القضايا الاجتماعية.
3. لكل عصر قادة مصلحين وفلاسفة مفكرين آراؤهم سديدة، وتوجيهاتهم مفيدة، وأعمالهم مميزة، وانجازاتهم بارزة.
4. بذل الرواد والمفكرون في الغرب جهودا جبارة في خدمة التربية.

5. معظم الجهود التي بذلها فلاسفة الغرب تصب في مجال الفلسفة والتربية وعلم الاجتماع .
6. بعض الآراء عند المفكرين في الشرق تتفق مع آراء المفكرين في الغرب.
7. التباين الحاصل والاختلاف الوارد بين الاتجاهين ناتج عن المرجعية الفكرية.

المراجع والهوامش :

1. سعد مرسي أحمد: تطور الفكر التربوي، القاهرة ، عالم الكتب، ط 1 1992م ص 16
2. سعد مرسي أحمد : التربية والتقدم ، القاهرة، عالم الكتب، 1970م ص 13
3. السيد سلامة الحميسي: التربية والمدرسة والمعلم، قراءة اجتماعية ثقافية، الإسكندرية، دار الصفاء للطباعة والنشر، 2000م ص 30
4. المرجع السابق ص 95
5. محمود فوزي : التربية وإعداد المعلم المعاصر، الإسكندرية، دار التعليم الجامعي، 2012 م ص 72
6. سعيد مرسي أحمد: تطور الفكر التربوي مرجع سبق ذكره ص 285
7. الأب بولس سعيد : ابن سينا الفيلسوف، بيروت ، مطبعة الاتحاد، 1937م ص 27
8. أحمد فؤاد الأهواني : ابن سينا ، القاهرة، دار المعارف، 1957م ص 24
9. عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، القاهرة، دار المعارف، 1960م ص 39
10. محمد كاظم الطريحي : ابن سينا ، النجف، مطبعة الزهراء، 1949م ص 76
11. المرجع السابق ص 77
12. أحمد فرج الصغير : الأصول التاريخية للتربية، منشورات جامعة سبها، ليبيا ، ط 1 2001م ص 131

- 13 . أبو حامد محمد بن الغزالي ، تمهات الفلاسفة ، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، 1955م ص 53
- 14 . الإمام الغزالي : إحياء علوم الدين، الجزء الأول، بيروت، الدار المصرية اللبنانية، (بدون) ص 24
- 15 . المرجع السابق ، الجزء الثالث، ص 78
- 16 . المرجع نفسه ، الجزء الأول ص 62
- 17 . حسين أمين : الغزالي فقيها وفيلسوبا ومتصوفا ، بغداد ، جامعة بغداد، 1963م ص 75
- 18 . فتحة سليمان : المذهب التربوي عند الغزالي، القاهرة، دار ألهنا للنشر، 1956م ص 21
- 19 . أحمد فرج الصغير : الأصول التاريخية للتربية ، مرجع سابق ص 132
- 20 . محمود السعيد الكردي : ابن خلدون مقال في المنهج التجريبي ، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984م ص 38
- 21 . علي عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون ، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (بدون) ص 24
- 22 . الأب يوحنا قمير: مقدمة ابن خلدون، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية، 1949م ص 6
- 23 . ابن خلدون : المقدمة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م ص 429
- 24 . أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، القاهرة، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، 1970م ص 283
- 25 . عبد الرحمن عدس : المدخل إلى علم النفس، عمان ، الأردن ، دار الفكر للنشر، 1992م ص 135
- 26 . ابن خلدون : المقدمة مرجع سابق ص 429
- 27 . صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية ، القاهرة ، دار المعارف، 1964م ص 280
- 28 . المرجع السابق ص 281

29. جان جاك روسو : إميل ، ترجمة نظمي لوقا، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1958م ص 18
30. المرجع السابق ص 64
31. جان جاك روسو : الاعترافات، ترجمة محمد بدر الدين خليل، القاهرة، مطبوعات كتابي، 1957م ص
32. محمد عطية الإبراشي : جان جاك روسو آراؤه في التربية والتعليم، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية، 1964م ص 39
33. جان جاك روسو : إميل والتربية، ترجمة عادل زعتير، القاهرة ، دار المعارف، 1956م ص 27
34. محمود قاسم : دراسات في الفلسفة الإسلامية، القاهرة ، دار المعارف، 1984م ص 93
35. علي حمد مذكور: نظريات المناهج التربوية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1997م ص 361
36. إبراهيم ناصر : مقدمة في التربية، عمان ، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، ط 8 1996م ص 224
37. المرجع السابق ص 225
38. سعد مرسي أحمد : تطور الفكر التربوي، مرجع سابق ص 438
39. نادية عمر الجولاني : علم الاجتماع التربوي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1993م ص 36 1
40. المرجع السابق ص 137
41. أحمد فرج الصغير : الأصول التاريخية للتربية ، مرجع سبق ذكره ص 216
42. سعد مرسي أحمد : تطور الفكر التربوي ، مرجع سابق ص 439
43. أحمد فرج الصغير : الأصول التاريخية للتربية ، مرجع سبق ذكره ص 220
44. أحمد الفينيش :أصول التربية ، بنغازي ، دار الكتب الوطنية، 1961م ص 236

- 45 . محمد شحات الخطيب وآخرون : أصول التربية الإسلامية، الرياض ، دار الخريجي للنشر والتوزيع، 1995م ص 446
- 46 . سعيد مرسي أحمد : تطور الفكر التربوي، مرجع سبق ذكره ص 428
- 47 . المرجع السابق ص 429
- 48 . أحمد فرج الصغير: الأصول التاريخية للتربية مرجع سبق ذكره ص 218
- 49 . عماد الدين خليل : من أعلام التربية العربية الإسلامية، مجلد 4، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1989م ص 127
- 50 . أحمد فرج الصغير : الأصول التاريخية للتربية مرجع سابق ص 230
- 51 . إبراهيم ناصر : مقدمة في التربية مرجع سبق ذكره ص 225
- 52 . بول وورد نج : نحو فلسفة التربية، ترجمة سعد مرسي أحمد وفكري حسن ريان، القاهرة، عالم الكتب، 1966م ص 64
- 53 . أحمد فرج الصغير: الأصول التاريخية للتربية ، مرجع سابق ص 231
- 54 . المرجع السابق ص 232
- 55 . محمد منير مرسي : التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، القاهرة، عالم الكتب، 1982م ص 246
- 56 . سعد مرسي أحمد : تطور الفكر التربوي ، مرجع سبق ذكره ص 497
- 57 . جون ديوي : البحث عن اليقين ، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة، مكتبة عيسى ألبابي الحلبي، 1960م ص 155

58. أحمد فرج الصغير : الأصول التاريخية للتربية، مرجع سابق ص 233
59. صالح ذياب هندي وزميله: دراسات في المناهج والأساليب العامة عمان ، الأردن، در الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م ص 112
60. جون ديوي : المدرسة والمجتمع، ترجمة حسن أحمد عبد الرحيم، بيروت ، دار مكتبة الحياة، 1964م ص 85
61. جون ديوي : الديمقراطية والتربية، ترجمة عقراوي وذكريا ميخائيل ، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1954م ص